النظريات المستجدة في المرحلة الأدائية

أ.د أوراد محمد كاظم الباحثة غفران أحمد مهدي

قسم اللغة العربية/ كلية التربية للعلوم الإنسانية / جامعة بابل/ العراق

Emerging theories in the performance stage

Ghufran Ahmad Mahdi **Prof. Dr. Awrad Muhammad Kazem**

Department of Arabic Language/ College of Education for Human Sciences/ University of Babylon/ Iraq

mastergha@ gmail.com

Abstract :

This research aspires to study the emerging theories in the performance stage in the light of data that predicted successive turns intended to deviate from the framework that was drawn in the postmodern stage to form a new stage with its theories and laws. Theories expressed a parallel to the development in the aspects of civilized, intellectual and cultural life. Therefore, the research sought to clarify the most important emerging theories in the performance stage.

Keywords: theories, emerging, performance stage

الملخص:

يطمح هذا البحث الى دراسة النظريات المستجدة في المرحلة الأدائية في ضوء معطيات أنبأت بانعطافات متتالية يقصد بها الخروج عن الإطار الذي تم ترسيمه في مرحلة ما بعد الحداثة لتشكيل مرحلة جديدة بنظرياتها وقوانينها. نظريات أعربت عن تطور مواز للتغيير الحاصل في مناحي الحياة الحضارية والفكرية والثقافية. ولذا فقد سعى البحث الى تبيين أهم النظريات المستجدة في المرحلة الأدائية.

الكلمات المفتاحية : نظريات، مستجدة، مرحلة أدائية.

المقدمة :

من أجل خلق أنموذج فكري جديد وتحويله عن مساره المعتاد لا بدّ من خلق نظرية جديدة تتناغم ومتطلبات هذا الانموذج. هادفة في مساراتها النقدية الى تأكيد هوية الذات الإنسانية وحركات التحول الاجتماعي في استشراف

نمط معيشي فردي وجماعي يعيد للذات اعتبارها الإنساني بغض النظر عن عرقها وجنسها ولونها وانتمائها منطلقين من أن بناء الذات يؤدي الى بناء المجتمع. وقد تمثلت النظريات المستجدة في مرحلتها الأدائية على وفق الآتي :

أولا : نظرية الكرات المغلقة

نظرية أسس لها الفيلسوف الألماني المعاصر (بيتر سلوتردايك)[*] وتعنى بوجودية الإنسان وقضايا المجتمع والعالم برؤية فلسفية تساؤلية. وهذه النظرية عبارة عن مشروع نقدي قائم على إنتاج الكرات (الدوائر) بوصفها رمزا جديدا لم يسبق أن وجد في الخطاب المعاصر.

ثلاثية الكرات (trilogy Spheres) مشروع نقدي عمل عليه الناقد (سلوتردايك) وضمّنه في (٢٥٠٠) صفحة، أستمر العمل فيه ما يقارب سبع سنوات من الكتابة، لتُنتج في ثلاثة أجزاء: الجزء الأول عام ١٩٩٨، والثاني عام ١٩٩٩، والثالث عام ٢٠٠٤. "والمجلد الضخم ليس إلا محاولة لكتابة تاريخ البشر من خلال فهم الناس بوصفهم كائنات تنتج الكرات وتعتمد عليها"[١]، فعالج هذا المشروع النقدي المسائل التي تم استحياؤها من أمومية الوجود (الرحم) ما قبل الولادي أي ما قبل الفرد وما قبل الذاتية وما قبل الايجو فيقترب بذلك (سلوتردايك) من المحلل النفسي (لاكان) في حديثه عن علم الباطن الإنساني، وأيضا من الأمور التي يتناولها مشروع الكرات الكون، والكرة الجغرافية، وتاريخ الحضارة الأقدم، والنظرية المناعية للهندسة المعمارية، وتاريخ الأجواء، والغلاف الجوي الخ، ويتم ربط كل ذلك بمفهوم المكان. إذن فثلاثية الكرات تتعلق بالدرجة الأساس في متابعة سلوكيات الناس وأنماط تصرفهم ازاء المواقف وتوجهاتهم الفكرية والأخلاقية، أي محاولة متابعة تطورات الوعي الإنساني عبر تاريخه الممتد.

وتقابلنا هنا مجموعة من الأسئلة فما معنى الكرات؟ ومما تتكون؟ ولِمَ الكرات بالذات؟ وما علاقة الإنسان بالكرات ؟ وما المغزى من إنتاج نظرية قائمة على أساس الكرات؟. يقدم الناقد (سلوتردايك) عبر هذه النظرية رؤيته النقدية في محاولة منه لإعادة تركيب أنظمة العالم المعاصر وخاصة فيما يتعلق بمفهوم المكان بوصفه أرضية ثابتة ومشتركة لا غنى عنها لفهم الإنسان والتاريخ والعالم، منطلقا من أنه قد " نشرت أطنان من الكتب تتحدث عن الدفع نحو الماضي ، والتوجه الى المستقبل، وتجهيز كل شيء، ومعظمها ليس مقروءا حتى الآن، وعلى النقيض من ذلك كان لا يزال من الصعب نسبيا، قبل عشر سنوات تقريبا، التعليق على نحو معقول على مكانية الوجود (spatialization of existence) في العالم الحديث، ضباب كثيف يغطي النظرية. وقد كان

---

[*] بيتر سلوتردايك فيلسوف ألماني وأستاذ ومقدم تلفزيوني، ولد عام ١٩٤٧، يعمل كأستاذ للفلسفة ونظرية الإعلام في جامعة كارلسروه، له عديد من الكتب النقدية والفلسفية منها : نقد العقل الساخر، نقد المنطق المتشائم، نقد المنطق الكلبي، الإنجيل الخامس لنيتشه، الكرات.

[١] أماني أبو رحمة، أفق يتباعد.. من الحداثة الى بعد ما بعد الحداثة، ، دار نينوى للدراسات والنشر والتوزيع، سورية، دمشق، ط١، ٢٠١٤، ١٦٢، وينظر أيضا : أماني أبو رحمة، بيتر سلوتردايك، الأنثروتقانات ومكانية الوجود في الألفية الثالثة، مقال منشور في مؤسسة مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث، ٢٠١٥، ٨.

هنـاك حتـى وقـت قريـب، عمـى مكـاني طـوعي"[٢]، إذ كانـت أغلـب التوجهـات ينصـب تركيزهـا علـى قضـايا الزمـان ومـا يتصل بها من إشكالات، وحتى لو كانت هناك توجهات نحو المكان فهي في الغالب تتناول الأماكن المركزية .

فكـان يُعتقـد " بـأن قضـايا المكـان قديمـة ومحافظـة، وتهـم الرجـال مـن الطـراز القـديم والإمبريـاليين. حتـى الفصـول السـاحرة عـن الفضـاء؛ أي المكـان، التـي كتبهـا دولـوز وغواتـاري فـي ألـف هضـبة[*] لـم تغيـر الوضـع، لأنهمـا كانـا سـابقين علـى عصـر مولـع بعبـادة الـزمن"[٣]، فلـم تكـن الأولويـة للمكـان إذ عـدّ حيّـزا مهمـلا، ومـن هنـا يـدعو الناقـد (سـلوترداياك) الـى " اكتشـاف فضـاءات جديـدة (مهملـة) وخفيـة، لأن وظيفـة العلـم والفلسـفة والـدين هـي البحـث عـن هـذه اليوتوبيـا المفقـودة بالكشـف عـن (الحبـل السـري) الـذي يـربط بـين الكائنـات المختلفـة والمشـيمة داخـل رحـم (الوجـود)، وأيضـا داخـل العلاقـات السياسـية بـين الـدول جميعـا "[٤]، فتعـاد للمكـان قيمتـه بإعـادة اكتشـافه والتفكيـر فيـه لكونـه وجـودا ضـروريا فهـو أشـبه بالحبـل السـري الـذي يغـذي جميـع الكائنـات فمنـه تكتسـب الكائنـات طبيعـة وجودهـا وذواتهـا ليصـبح المكان كيانا حميميا يتسع ليشكّل نقطة انطلاق ورجوع للكائنات الإنسانية من دون تنازع أو صراع.

وخاصـة بعـدما أمسـت العلاقـات الإنسـانية " هشـة، فـي ضـوء تطـور متسـارع تحولـت فيـه الفردانيـات الـى ايـديولوجيا مفضـلة [...] ولكنهـا تطـورات لا يمكـن تصـورها إلا فـي ضـوء تنـامي نـوع مـن التحصـين ونزعـة الـى شـكل مـن الحمائيـة، وذلـك لتنـامي شـعور الأفـراد بالهشاشـة وإمكانيـة الانهـاك"[٥]، ولـذلك تقوقـع الأفـراد داخـل اشـكال دائريـة أو كرويـة –بحسـب تسـمية الناقـد– لحمايـة ذواتهـم فـي ظـل الهشاشـة والتمـزق الـذي سـاد بآثـاره علـى أجـزاء المجتمـع حيـث فقـد وحدتـه وتماسـكه وبـات أقـرب الـى حلقـات انعزاليـة مغلقـة، وهـذا مـا كانـت تعانيـه البشـرية منـذ البـدء فقـد " كانـت تعـيش فـي فقاعـة الـوهم الأخلاقـي، ومـن ثـم الـوهم الـديني وبعـدها انفجـرت هاتـان الفقاعتـان بفعـل وعـي الحداثـة، ودخلـت البشـرية مرحلـة جديـدة مـن الـوعي السـاخر الناقـد النـاقم علـى ذلـك التـاريخ"[٦]، ثـم انتقـل بعـد ذلـك فـي مرحلـة ثالثـة الـى فقاعـة أخـرى فُرضـت عليـه كنـوع مـن أشـكال الحمايـة، فيحـاول الأنسـان صـنع كـرات صـغيرة ثـم تتوسـع هـذه الكـرات فـي عمليـة تواصـلية مـع الآخـرين والأشـياء لتكـوّن كـرات اجتماعيـة واقتصـادية وسياسـية ودينيـة[...]، وهـذا مـا

---

[٢] أمـاني أبـو رحمـة، أفـق يتباعـد.. مـن الحداثـة الـى بعـد مـا بعـد الحداثـة : ١٦٢، وينظـر أيضـا : أمـاني أبـو رحمـة، بيتر سلوترداياك، الأنثروتقانات ومكانية الوجود في الألفية الثالثة: ٨.

[*] الرأسـمالية والفصـام مجلـد موسـوعي مـن جـزئين : الأول (مكافحـة العقـد النفسـية ١٩٧٢)، والثـاني (ألـف هضـبة ١٩٨٠) اشـترك فـي تأليفـه الفيلسـوف الفرنسـي جيـل دولـوز والمحلـل النفسـي فيليكس غوتـاري ، تنـاول أشـكالا شـتى مـن الحقول المعرفية كاللسانيات والأدب والتاريخ وعلوم الكون والأخلاق والسياسة وغيرها .

[٣] أمـاني أبـو رحمـة، أفـق يتباعـد.. مـن الحداثـة الـى بعـد مـا بعـد الحداثـة : ١٦٢، وينظـر أيضـا : أمـاني أبـو رحمـة ، بيتر سلوترداياك، الأنثروتقانات ومكانية الوجود في الألفية الثالثة: ٨.

[٤] عصـام عبـد الله، سـلوترداياك : تجـدد أو تبـدد، مقـال منشـور علـى صـفحة إيـلاف، ١٩ ينـاير ٢٠١٠.
https://elaph.com

[٥] محمـد محسـن الزارعـي، دوائـر سـلوترداياك، مقـال منشـور علـى صـفحة كـوة، ٣١ مـايو ٢٠٢٠.
https://.couua.com

[٦] رائد الحسناوي، بيتر سلوترداياك ومدرسة فرانكفورت، مقال منشور على صفحة الحوار المتمدن، ٢٠١٧.

ينم عن قانون شمولي، فعلى الرغم من الكرات الصغيرة التي توفر بيئة مغلقة تقي الفرد إلا إنه باتصال هذه الكرات في ضوء العلاقات الاجتماعية تتحقق الشمولية.

تتكون ثلاثية (سلوترداياك) من ثلاثة أنماط : فقاعات، وكرات، ورغوات، وهي مصطلحات تنتمي الى الحقل الهندسي فضلا عن أنها مستله من مفردات الاستعمال اليومي. وقد وظفها (سلوترداياك) في نظريته كرمز أو صور فكرية للدلالة على كينونة الأفراد بوصفهم ذوات منعزلة وذوات متصلة مع علاقات فردية واجتماعية أكبر تندرج ضمن نظام أسري ومجتمعي ودولي وعالمي خاضعة لمفارقات التصالح والتصادم، التقارب والتباعد، التنافر والتجاذب وما الى ذلك.

والمجتمع على ضوء مشروع الكرات عبارة عن رغوة، تتكون هذه الرغوة من " مجموعة من الكرات المجهرية (الأزواج، والأسر، والمشاريع، والكيانات العلائقية) ذات التنسيقات المتنوعة، والتي تشبه الفقاعات المنفصلة في كومة الرغوة والمتكدسة فوق أو تحت بعضها البعض، دون أن يكونوا في متناول بعضهم البعض حقا أو أن يكونوا منفصلين عن بعضهم البعض"[٧]، مما يعني أن هذا المجتمع يتكون من علاقات رغوية غير قائمة على مبدأ التماسك والانسجام، علاقات غير منتظمة أو علاقات بينية تقع بين منطقة الاتصال والانفصال، فكل كائن إنساني لديه طريقة حياة خاصة به تختلف عن طريقة غيره في الحياة. فـ " العالم لا يتكون من عناصر متجانسة، بل من عناصر متنافرة، فالعلاقات لا تتأسس بين وحدات متناغمة ومتحدة قبليا وثابتة بل هي علاقات أزمة تتبدد وتتجدد باستمرار"[٨]، مما يشير الى أن الكون لم يعد يتكون من فقاعة صابون واحدة ولكنه يتكون من ملايين الفقاعات المتجاورة والتي تتداخل وتتقاطع في كل مكان[٩]، ولذا لابد من وجود خيط رابط بين هذه الرغوات يسمح بإقامة نوع من النظام والأواصر، ويجيز للأفراد توفير بيئة داخلية تقيهم وتحصنهم، وفي الوقت نفسه تضمن لهم وجودا مناسبا في العالم ويتمثل ذلك بالأماكن / الكرات المغلقة، التي تتيح إمكانية للانسجام والتماسك في ضوء رغوية التنافر والاختلاف.

فمشروع الكرات يدور حول بُعد إنساني ذاتي داخلي ينطلق من داخل الفرد متوجها نحو العالم المحيط بالفرد، بمعنى أخر يتعلق بالمكان الذي يصنعه الفرد أو البشر بصورة عامة حول أنفسهم، وما يمكن أن يثيره هذا المكان من مسائل كالاغتراب والفقدان نتيجة لصنع مكان حضري – صناعي– يكون عوضا عن الطبيعة، ثم ما ينتج عن هذه الحياة المكانية من إشكالات تتعلق بالهشاشة على المستوى البيولوجي والقانوني والاجتماعي وحتى الطقوسي.

ويعد مصطلح الكرة إضافة جديدة لمصطلحات المكان وتفرعاته، وكان من أسباب اختيار مصطلحات الكرة – على وفق رؤية الناقد سلوترداياك– هو أن " المصطلحات والمفردات القديمة أصبحت عديمة الجدوى لأن كل

---

[٧] أماني أبو رحمة، ترامي الأفاق من الحداثة الى بعد ما بعد الحداثة، مؤسسة أروقة للدراسات والترجمة والنشر، القاهرة، ط١، ٢٠٢٢، ١٥٣.

[٨] محمد محسن الزارعي، دوائر سلوترداياك، مقال منشور على صفحة كوة، ٣١ مايو ٢٠٢٠. .

https://.couua.com

[٩] أماني أبو رحمة، أفق يتباعد.. من الحداثة الى بعد ما بعد الحداثة : ١٦٣.

اللغات الطبيعية القديمة، بما فيها الخطابات النظرية، طوّرت لتناسب عالم المواد الصلبة والثقيلة، وتبعا لذلك فإنها لا تستطيع التعبير عن خبرات عالم الضوء والعلاقات. وهكذا فإنها غير مناسبة لرسم الخبرات"[١٠]، فجوهر العالم المعاصر اليوم هو السرعة[*] والآنية التي تستدعي ابتكار مصطلحات موازية لها وقادرة على استيعاب فحواها ودلالاتها.

ويضاف لذلك أسبابا أخرى " منها ما هو لغوي ومنها ما هو حقيقي، والحاسم هنا هو أنه وتحت الطبقة الرقيقة من الألعاب اللغوية الحديثة، حيث تلعب كلمة الكرة دورا هامشيا، تقع طبقة قديمة قوية جدا يمكن أن يطلق عليها المرء نطاق الألفي عام من التفكير الكروي الأوربي"[١١]، فكل شيء خاضع لتصور الكرة، الأمر الذي يدل على قانون رئيسي للنظرية وهو قانون ارتباط الكروية بنظام الكون، ولا سيما أن التيار الفكري الشائع عند الناس والعلماء يتمثل بكروية الأرض وما بُني على ذلك من تأثيرات تغلغلت على مختلف أنحاء الحياة، فضلا عن أن السيميائيات الألمانية لعبت " دورا في اختيار سلوترديك، لأن كلمة كرة قد وظفت على يد غوته وهايدغر بوصفها مرادفا تقريبيا لدائرة الحياة أو عالم المعنى، وهذا يناسب بالفعل بحثه المتواصل عن لغة مناسبة للمكان المتحرك الشخصي، أو السريالي"[١٢]، فعلى الرغم من توظيف كلا من (غوته) و(هايدغر) لمصطلح المكان لكنه أكتسب عند (سلوترديك) معنى جديدا أكثر خصوصية بوصفه متشكلا من ذات الفرد داخليا ليتوسع بعد ذلك في توليفات اجتماعية وعاطفية وخيالية ثم ليكون أكثر شمولية واتصالا بالمحيط والعالم.

يحاول الناقد (سلوترديك) من طريق ثلاثيته أن يرسم صورة للكيفية التي يتعايش فيها الأفراد ضمن حيز وجودي كروي أملا في خلق فضاء مكاني آمن، فيُظهر " كيف أن الكرات الصغيرة والكبيرة تتجمع معا لتشكيل كلا تعدديا غير قمعي [...] في الرغوة، نحن كائنات من كرات sphere– forming beings يمكن أن تطفو وتتدفق مع وفوق وعبر بعضها، دون أن تطغى على بعضها أو تسمح لأحد أن يطغى عليها"[١٣]، وكأنما ما أراده (سلوترديك) هو إنشاء بيئة تمكن الفرد من الحفاظ على نفسه في صورة تسمح له بمزاولة حياته بصورة آمنة بعيدا عن الانعزال والتشظيات التي باتت نمطا للعيش، فيعود الفرد الى فطرته وطبيعته التي تحفظ له وجوده بوصفه كائنا إنسانيا مسالما.

---

[١٠] أماني أبو رحمة، أفق يتباعد.. من الحداثة الى بعد ما بعد الحداثة : ١٨٧.

[*] حققت وسائل التواصل الاجتماعي وشبكات الاتصال بشكل عام رؤية سلوترديك. فالفرد معزول حتى وإن كان برفقة آخرين، لا أحد سوى الفرد والأفتار الخاص به، نظيره الالكتروني الذي يسبح في الفضاء السيبراني المتصل. اللحم ونظيره السيبراني يتواصل من موقعه الحصين مع العالم. والمتحرك الوحيد هو رأس المال كما أن جائحة كورونا وما ترتب عليها من حجر وعزلة للبشر كل في موقعه ليس إلا تطبيقا لرغاوي سلوترديك. للاستزادة ينظر : أماني أبو رحمة، ترامي الآفاق من الحداثة الى بعد ما بعد الحداثة: ١٥٦.

[١١] أماني أبو رحمة، أفق يتباعد.. من الحداثة الى بعد ما بعد الحداثة : ١٧٧. والمصدر الأساس :Peter Funke, Bettina. Against Gravity : Bettina Funke talks with PeterSloterdijk, PeterSloterdijk, Art forum, Feb/Mar, 2005.

[١٢] أماني أبو رحمة، أفق يتباعد.. من الحداثة الى بعد ما بعد الحداثة :١٧٨.

[١٣] Electronic book Translation by Chris Thomas.Luca Di Blasi reads Peter Sloterdijk revew. 1999. نقلا عن أماني أبو رحمة، أفق يتباعد.. من الحداثة الى بعد ما بعد الحداثة : ١٨٣.

ويبدو أن صنع (سلوترداياك) لهذه المستويات من الدوائر إنما يوفر حماية آمنة للفرد وإن كانت مصطنعة، ويكون في ذلك على التيار ذاته الذي تبعه (ايشلمان) بخلقة الاطارات التي تعزل الفرد عن المحيط المتشظي والخطابات التي يضيع في لا نهائيتها.

وبذلك تلتقي نظرية الكرات مع الأدائية في الهدف وحققت إسهاما في المجال النقدي – وخاصة بعدما انطلقت نظرية الكرات من قوانين المرحلة الأدائية مع فرق التوظيف– فكلاهما أراد حماية الفرد وتحصينه من انتهاكات الخارج المتشظي. فمثلما وفرت الأدائية إطارات لخلق فضاء مغلق ووحدة كلية، وفرت الكرات بدوائرها أيضا بيئة أو وحدات مغلقة تقي الفرد وتحمية، وفي الوقت ذاته وضعتا أمام الفرد منفذا ليتخطى حاضره صوب مستقبله ويتم ذلك من طريق ما يملكه من مؤهلات أو قدرات تسمح له بتجاوز ما يعترضه من عقبات التقاليد الحياتية الروتينية التي بات مكبلا بإسارها فيتخطى أو يتجاوز كل ذلك في سعي مستمر مكللا بالتفاؤل الذي يقود نحو صناعة المستقبل

ثانيا : نظرية الهولوكوست/ ما بعد الأضحوية

من المعلوم أن الهولوكوست حظيت بعناية خاصة من حيث حجم المساحة والاهتمام بأدق تفاصيلها وأحداثها، وألفت في ذلك أعمالا متخصصة في تاريخ الهولوكوست من بحوث ومؤتمرات ومعاهد وأدب وسينما وفن، لدرجة أن هذا الاهتمام طغى على أي حدث آخر حصل ونجم عنه ضحايا(*). فتم تسليط الضوء على ضحايا اليهود وكأنهم الفئة الوحيدة في العالم التي تعرضت للإبادة. لدرجة أن المتحدثين باسم موتى اليهود " يغالون ويحذرون من اللصوص الذين يتآمرون لسرقة الهولوكوست من اليهود و(تنصيرها) أو تذويب طبيعتها اليهودية الفريدة

(*) على الرغم من أن عدد الضحايا والمجازر الشبيهة بالهولوكوست –وربما فاقتها– مستمرة الى اليوم وفي بلدان متعددة إذ تُمارس لعبة العنف في رواندا وفي أوربا فيما كان يعرف حتى وقت قريب بيوغسلافيا وفي السودان والكونجو وفي الصومال وأنجولا وسريلانكا وأفغانستان وفلسطين وكثير من البلدان الأخرى لكن لم يُبذل جهدا حقيقيا لإيقاف أو قطع دابر الشر، فضلا عن أنها لم تنل أهمية دولية تذكر. وفي مقابل ذلك نجد أن الفكر الأوربي عمل عملا حثيثا على أسطرة الهولوكوست فلسفيا، وأدبيا، وقانونيا، وتربويا، بل ودينيا أيضا، الى جانب تجنيد الوعي الجمعي للفوقية العرقية المنغلق والاحتلالي الذي لا مكان فيه للحساسية تجاه معاناة الآخرين من أعراق وأديان وقوميات أخرى غير أوربية. فاليهود من وجهة نظر ما بعد الحداثة هم الضحية الوحيدة المعلنة ومن الممنوع مس الوعي بكونه ضحية بواسطة ذكر معاناة الآخرين. للمزيد من الاطلاع ينظر : زيجمونت باومان، الحداثة والهولوكوست، ترجمة : حجاج أبو حيدر ودينا رمضان، مدارات للأبحاث والنشر، القاهرة، ط١، ٢٠١٤، ٣٤٩– ٣٥٣. وأيضا : أماني أبو رحمة، نهايات ما بعد الحداثة، ارهاصات عهد جديد، دار ومكتبة عدنان، بغداد، ط١، ٢٠١٣،٥٣.

بوضعها في سياق معاناة (إنسانية) مبهمة "[١٤]، وما ذلك إلا لامتداد نفوذهم السلطوي في احتكار هذا الحدث لصالحهم سياسيا واقتصاديا مع تأجيج مشاعر الحقد والعنصرية.

ولطالما عدت الهولوكوست حدثا مركزيا وبالنتيجة هي أحدى السرديات الكبرى الحداثية التي أُستغلت لتشكّل رصيدا لليهود (إسرائيل) بوصفهم مضطهدين ولا بدّ للعالم أن يرد حق اضطهادهم وبذلك يكونون في مأمن وحصانة من المسائلة لارتكابهم أشكال العنف وتعدي الحدود بحق الآخرين ، و حالما جاءت ما بعد الحداثة دعت للإطاحة بالسرديات الكبرى، ولكن باستثناء سردية الهولوكوست، إذ ظلت محتفظة بمركزيتها وبذلك ناقضت ما بعد الحداثة توجهاتها بإطاحة المركز كسردية كبرى! بيد أن هذه السردية الكبرى تحولت الى وسيلة إيديولوجية جاهدت المؤسسات والمنظمات الصهيونية الامريكية في إدراجها ضمن نطاق عالمي يعزز إطارها عقيدتان[١٥] :

١- يمثل الهولوكوست واقعة تاريخية فريدة من نوعها.

٢- الهولوكوست هو ذروة كراهية غير اليهود – غير المنطقية الأبدية – لليهود

فهذه المؤسسات سعت الى ترسيخ نسق فكري يسوغ نوعية المعتقدات التي يحملها اليهود في وصف حدث القتل الجماعي لهم على يد (هتلر) في الحرب العالمية الثانية بكونه حدثا لم يسبق له مثيل، ولا يمكن أن يكون أي حدث أخر مهما كانت درجة فضاعته مقاربا له في حجم المأساة ثم أن هذا الحدث على وفق معتقدات اليهود تأكيد على كراهية العالم من غير اليهود لهم وبناء على ذلك يُفترض الاقتصاص منهم.

وللخروج بحل لإخماد ذروة الكراهية حاولت بعض النظريات في مرحلة الأدائية تكثيف العمل على هذه الإشكالية؛ إذ عملت على نقطة الخلاف بين الضحايا والجناة / المركز والهامش لحل هذه الإشكالية وتسوية الخلاف الذي يلقي بأسماله على المستقبل من أجل الوصول الى مبدأ تصالحي في سعي حثيث لإعادة رسم حدود الهولوكوست وما يبنى عليها من آثار تمتد لتشمل طريقة حياة مجتمعات بأسرها.

إن المركز الذي تروم العمل عليه النظرية ما بعد الأضحوية في الأدائية هو إعادة صنع قاعدة تكون فيها العلاقة بين الجلاد والضحية/ المركز والهامش في خط تصالحي – تفاوضي- وذلك يتمثل بـ "إرجاء العنف وأهمية اقتصاد السوق في إحلال السلام والإخاء والمساواة "[١٦]، بعدما كان المعتاد في نظرية الأضحوية غياب المساواة وعدم قابلية وجود أي "،علاقة بين الضحية ومرتكب الجريمة أو معاملة بالمثل أو قاعدة مشتركة أو وحدة إنسانية : إما أنت أو الآخر"[١٧].

---

[١٤] زيجمونت باومان، الحداثة والهولوكوست : ٤١.

[١٥] نورمان ج. فينكلشتين، صناعة الهولوكوست، تأملات حول استغلال معاناة اليهود، ترجمة : سعود عطية، وزارة الإعلام الهيئة العامة للاستعلامات، ط١، ٢٠٠١، ٣٧.

[١٦] أماني أبو رحمة، نهايات ما بعد الحداثة، ارهاصات عهد جديد : ٥٥.

[١٧] إيرك غانس، سجلات الحب والاستياء، a١٩٩٧. نقلا عن أماني أبو رحمة، نهاية ما بعد الحداثة، مقالات في الأدائية وتطبيقات في السرد والسينما والفن، مؤسسة أروقة للدراسات والترجمة والنشر، القاهرة، ط١، ٢٠١٣، ٩١.

يضاف لذلك استغلال مسألة الطرح بشأن الضحايا وتوجيهها في مسارات نفعية سياسية، فضلا عن سلب الأخرين حقوقهم بحجة تعويض الضحايا ومثال ذلك تعويض اليهود بمنحهم فلسطين تكفيرا عن جرائم النازيين بحقهم، وأما حقوق الفلسطينيين بأرضهم وتجرعهم لأنواع العذاب والقتل فلا بد من أن يقابل بالتسامح كتدبير أمثل " للمصالح الغربية ومتفقا مع قاعدة الأضحوية التي تطالب باحتواء الاستياء المر ضد الجاني من خلال تدبير يمنح مكاسب شكلية للضحايا فيما يتواصل إجرام الجاني بأشكال أقل حدة وأكثر فاعلية"[١٨] . ولا يكتفِ تأثير الهولوكوست بذلك بل ويمتد ليشمل حتى العلاقات الاجتماعية التي تبرز في هيئة نوبات من التحيز والتميز، وتراجع في حركة الحقوق المدنية، والنسوية وتحرير الشواذ...الخ[١٩] .

ويتسأل الناقد (ايشلمان) في هذا الصدد عما إذا كان من الممكن أن يكون هناك بديل لخطاب الأضحوية من شأنه أن يفتح وجهة نظر نحو المستقبل من دون إعادة كتابة التاريخ على حساب ضحاياه[٢٠]؟ وتأتي الإجابة من طريق بوادر لوجود دلائل " على أن الكتب والأفلام قد بدأت الآن التركيز على مرتكبي الجرائم والخيارات الأخلاقية التي تتضمنها أعمالهم، وقبل كل شيء، على إمكانية التكفير والتعويض والمصالحة"[٢١]، فيتم العمل على مساحة الوعي للمتلقين والمشاهدين وتزويدهم بوساطة هذه الكتب والأفلام بشفرات ورموز لإعادة هيكلة أساس العلاقة بين الجناة والضحايا من زوايا مختلفة يتاح فيها خيارات تعمل على تجاوز بؤر الاستياء والغضب. بمعنى يُساير المتلقي رغبة المؤلف ومنظوره المختلف في عرض الموقف أو الحادثة التي تجمع بين الجاني والضحية من أجل أن تُفتح أمام المتلقي آفاقا أساسها التصالح وهنا تتجلى سلطة المؤلف وإمكانية تكوين اعتقادات جديدة عند المتلقي. فتستثمر نظرية ما بعد الأضحوية قوانين الأدائية ومنها قانوني المصالحة والاعتقاد.

فتعمل على تكوين قناعات جديدة غير خاضعة لقيود الحقد والثأر ويكون ذلك مدفوعا بـ "رغبة الجاني في الخلاص ورغبة الضحية في التراجع عن التجربة المروعة للماضي. من خلال إسقاطهما على كائن مشترك، فإن هذين المنظورين المتنافسين يسمحان لنا بالاعتقاد أنه يمكننا تجاوز الماضي "[٢٢] على أن ذلك لا يعني – كما يرى غانس– "إنكار وجود الظلم ولكنه يعني أنه في المرحلة الراهنة من التاريخ العالمي فإن الحل الأكثر فاعلية لادعاءات الظلم الذي لا لبس فيه هو : تناول هذه المزاعم ليس بوصفها إثباتات تستوجب لوم الآخرين ولكن بوصفها ادعاءات قابلة للتفاوض"[٢٣]، أي بمنح مساحة مشتركة لكلا الطرفين بمعنى أن يكون الجاني والضحية في نفس المركز ويترتب عليه طمس الحدود الطبقية وذلك خلافا لموقع الضحية المهمش دائما، فيحدث تقارب بينهما للتوصل الى تسوية سلمية تحقق فائدة لهما وترجئ العنف وتحفظ السلام وإن كان مؤقتا، فالتخلي عن تفكير

---

[١٨] أماني أبو رحمة، نهايات ما بعد الحداثة، ارهاصات عهد جديد : ٥٤.

[١٩] أماني أبو رحمة، نهايات ما بعد الحداثة، ارهاصات عهد جديد : ٥٠.

[٢٠] أماني أبو رحمة، أفق يتباعد ..من الحداثة الى بعد ما بعد الحداثة : ٢١٩.

[٢١] أماني أبو رحمة، أفق يتباعد ..من الحداثة الى بعد ما بعد الحداثة : ٢٢٠.

[٢٢] راؤول ايشلمان، بعد ما بعد الحداثة : الأداء في الأدب، مقال منشور في مجلة الأنثروبويتكس، الحادي عشر، لا.٢، خريف ٢٠٠٥، شتاء ٢٠٠٦.

[٢٣] أماني أبو رحمة، نهايات ما بعد الحداثة، ارهاصات عهد جديد : ٧١.

" الضـحية هـو الالتـزام العـالمي بـالالتزام السـلمي لـيس فقـط فـي العلاقـات القائمـة علـى المسـاواة ولكـن أيضـا غيـر المتكافئـة، فـي الإيمـان بأنـه حتـى الأخيـرة أفضـل مـن العنـف– وأنـه فـي عـالم التبـادل السـوقي، سـوف يميلـون علـى المـدى الطويـل للتخفيـف مـن عـدم التماثـل"[٢٤]. فيكـون بـذلك منطـق التفكيـر إيجابيـا وتفاؤليـا وذا قاعـدة عريضـة أساسـها إرجـاء العنـف. مـع الأخـذ بالحسـبان عـدم تبريـر جريمـة الجـاني أو إنكـار معانـاة الضـحايا ولكـن لتجـاوز الشـؤم الميتافيزيقي الذي يحتم محاكاة حالة الضحية وتمثيل دور الضحية لحادثة وقعت منذ أمد بعيد.

ولكـن يبقـى السـؤال كيـف يمكـن لنظريـة مـا بعـد الأضـحوية أن تسـاوي بـين جـانٍ لـه عقـل سفّـاح وصـلت بشـاعة جرائمـه الـى حـد ألـوفي وربمـا مليـوني، وبـين ضـحية تـرزح مـع أثقـال المعانـاة وتعـاني كبـت الظلـم؟ ثـم مـا الطريقـة التـي تجمـع بـين الجـاني والضـحية الـى حـد التمـاهي والتـي تُعـد نقـدا للتوجهـات السـابقة بـأن وجـود أحـدهما يسـتدعي إقصـاء وإلغـاء الآخـر؟ ويبـدو جـواب مـا بعـد الأضـحوية علـى ذلـك بالانفصـال عـن السـياقات الفكريـة والعقائديـة والثقافيـة السـائدة – بغـض النظـر عـن حجـم الحقيقـة فيهـا– بخلـق إطـارات فنيـة (غلـق)، أي بصـنع عـوالم تجمـع الشخصـيات الأطـراف وتمكّـنهم مـن ممارسـة حيـاتهم لأجـل التطلـع الـى المسـتقبل عوضـا عـن الحـداد علـى الماضـي الأليـم بخلـق فـرص تجمـع الجـاني والضـحية وحثهمـا علـى التخلـي عـن الوقـود المتمثـل بالانتقـام والحقـد بالنسـبة للضـحية، وبالـذنب والنـدم بالنسـبة للجـاني، ذلـك الوقـود الـذي يـدفعهما ويحركهمـا الـى الأمـام وبـالتخلي عنـه تنشـأ فرضـية تحررهمـا مـن الاستعباد لرغبات الصراع.

ويبـدو أن الأدب والسـينما الهولوكوسـتية اسـتثمرت التفكيـر الإيجـابي لعرضـها لقضـية الأضـحوية فـي المرحلـة الأدائيـة، وذلـك مثّـل نقـدا للكتابـة التقليديـة للأضـحوية، التـي تعتمـد علـى ثـيم المبالغـة والتزييـف والافتعـال. وتعـد روايـة (القـارئ) لبيرنهـارد شـلينك الصـادرة عـام (١٩٩٥) ثـم تحولـت الـى فـيلم سـينمائي مـن إخـراج البريطـاني (سـتيفن دالـدري) من أوضح الأمثلة على كيفية تجسيد ما بعد الأضحوية.

وتـدور أحـداث الفـيلم حـول الصـعوبات التـي يعـاني منهـا كـلا الجيلـين بوصـفهما جـاني وضـحية وخاصـة بعـدما تلاشـت الـذاكرة المرئيـة والحقيقـة للطـرفين فلـم يتبـق سـوى مـا كُتـب ومـا يمثّـل فـي وسـائل الإعـلام ليتحمـل الناشـئين أعبـاء اجـدادهم الجنـاة والضـحايا وتتجسـد هـذه الصـعوبات عنـدما يلتقـي الشـاب (مايكـل بيـرغ) سـليل الضـحية وحارسـة المعتقـل السـابقة (حنـا شـميتز) سـليلة الجـاني لتجمـع بينهمـا علاقـة معقـدة مـن نـوع خـاص، وتنتهـي علاقتهمـا بـتفهم مشـاعر بعضـهما، فعلـى الـرغم مـن أن (حنـا) متهمـة بجـرائم الحـرب وزُج بهـا فـي السـجن إلا أن (مايكـل) لـم يـدعها إذ ظـل مسـتمرا بتسـجيل قـراءات للكتـب وإرسـالهم اليهـا فـي السـجن لتـتمكن (حنـا) مـن تعلـيم نفسـها القـراءة لآنهـا أميـة، وعنـدما يحـين موعـد الإفـراج عنهـا تنتحـر لتنـامي شـعور الـذنب لـديها مـع تركهـا وصـية (لمايكـل) بتوزيـع مـدخراتها علـى الناجين من حريق الكنيسة.

يتناول (ايشلمان) هذه الرواية بالتحليل فيرى أنها غادرت أدبيات ما بعد الحداثة بنقطتين أساسيتين[٢٥] :

أولا : التفاؤليـة الميتافيزيقيـة الواضـحة، إذ يـرى(شـلينك) العـالم بوصـفه مفتوحـا علـى التحسـن. لا يقـدم (القـارئ) لنـا صـورة أقـل إدانـة للتواطـؤ الألمـاني فـي الإبـادة الجماعيـة مـن مـا بعـد الحداثـة، كمـا أنـه لا يبـذل أي جهـد فـي البحـث عـن

[٢٤] إيـرك غـانس، أفكـار مـا بعـد الألفيـة ، مقـال منشـور ضـمن سـجلات الحـب والاسـتياء، رقـم ٢٥٣، السـبت ٢٣ ديسمبر، ٢٠٠١. Anthropoetice. Ucla. edu

[٢٥] ينظر : أماني أبو رحمة، أفق يتباعد ..من الحداثة الى بعد ما بعد الحداثة : ٢٢٢، ٢٢٣.

أعذار (لحنا) أو نفي معاناة ضحاياها، ولكنه يقول إن الناس – وخاصة الجناة– منغلقون في إطارات طقوسية بدائية غالبا ما تكون من صنع أيديهم، وأن هذه الإطارات يمكن أن تتغير أو (تُغير) الى الأفضل بمرور الوقت. وهذا يتناقض مع التشاؤم الميتافيزيقي الما بعد حداثي الذي من شأنه الإدانة بسبب تزيف حالة الأضحوية وتكذيب ثلاثة أجيال كاملة.

ثانيا: تجلى الانفصال الجذري بين رواية (القارئ) ومعايير ما بعد الحداثة في الإصرار على التماهي المؤطر مع الجاني فضلا عن الأصل المشترك (وليس الوضع الأخلاقي المشترك) بين الضحية والجاني. فمن منظور ما بعد الحداثة التي لا تسمح بأي تشاركية أو تبادلية بين الضحية والجاني يصاحب هذا التماهي القسري مع الجاني مقايضة قاتلة. بينما في الأدائية تتاح خيارات المصالحة والتكفير لتصفية الحساب عوضا عن النواح على الماضي الأليم.

ما يلاحظ من فيلم القارئ أن المؤلف يبذل جهدا فكريا وخياليا لتقليص دائرة العنف بصنعه إطارات مغلقة تساعد على إعادة التشكيل الذاتي للشخصيات وتطورها أخلاقيا وتجاوزها لرعب الهولوكوست بافتراض مواقف وخيارات تجمع بين الجاني (حنا) والضحية الشاب (مايكل)، فتجمع بينهما علاقة غير متكافئة لكنها تحتوي على عنصر المعاملة بالمثل – المشاهد الطقسية المغلقة– ليصبح كلاهما لا جاني ولا ضحية وهو ما يعبّر ضمنيا عن موقف احتجاجي نقدي ضد العنف، مثلما يعبر عن علاقة من نوع خاص لم يكن لها وجودا في ما بعد الحداثة علاقة قائمة على أساس الحب والعطف وليس القتل ونوازع الحقد، وأيضا يشير الى احتمالية التقارب في المستقبل وهو ما ينبع من رؤية تفاؤلية ميتافيزيقية مفادها أن العالم يمكن أن يتغير للأفضل.

الخاتمة :

في ظل ما تقدّم يمكن القول إن توجه النظريات المستجدة قد انصب على إعادة تنظيم علاقات الأفراد بذواتهم أولا، وبالمحيط من حولهم ثانيا، في محاولة لحفظهم من انتهاكات الخارج المتشظي. ثم أن هذه النظريات المستجدة قد وظفت قوانين الأدائية وفعّلتها بالطريقة التي تنسجم وتوجهاتها وبذلك أسهمت في إثبات السمات المائزة للمرحلة الأدائية، فضلا عن أن هذه النظريات وجدت صداها في الفكر الأدائي فتشكّلت فرضياتها الأساسية وقوانينها من محددات الثقافة الأدائية ومكوناتها.

المصادر :

(١) أماني أبو رحمة، أفق يتباعد.. من الحداثة الى بعد ما بعد الحداثة، ، دار نينوى للدراسات والنشر والتوزيع، سورية، دمشق، ط١، ٢٠١٤، ١٦٢، وينظر أيضا : أماني أبو رحمة، بيتر سلوترداياك، الأنثروتقانات ومكانية الوجود في الألفية الثالثة، مقال منشور في مؤسسة مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث، ٢٠١٥، ٨.

(٢) أماني أبو رحمة، أفق يتباعد.. من الحداثة الى بعد ما بعد الحداثة : ١٦٢، وينظر أيضا : أماني أبو رحمة، بيتر سلوترداياك، الأنثروتقانات ومكانية الوجود في الألفية الثالثة: ٨.

(٣) أماني أبو رحمة، أفق يتباعد.. من الحداثة الى بعد ما بعد الحداثة : ١٦٢، وينظر أيضا : أماني أبو رحمة ، بيتر سلوترداياك، الأنثروتقانات ومكانية الوجود في الألفية الثالثة: ٨.

(٤) عصام عبد الله، سلوترداياك : تجدد أو تبدد، مقال منشور على صفحة إيلاف، ١٩ يناير ٢٠١٠.
https://elaph.com

(٥) محمد محسن الزارعي، دوائر سلوترداياك، مقال منشور على صفحة كوة، ٣١ مايو ٢٠٢٠.
https://.couua.com

(٦) رائد الحسناوي، بيتر سلوترداياك ومدرسة فرانكفورت، مقال منشور على صفحة الحوار المتمدن، ٢٠١٧.

(٧) أماني أبو رحمة، ترامي الأفاق من الحداثة الى بعد ما بعد الحداثة، مؤسسة أروقة للدراسات والترجمة والنشر، القاهرة، ط١، ٢٠٢٢، ١٥٣.

(٨) محمد محسن الزارعي، دوائر سلوترداياك، مقال منشور على صفحة كوة، ٣١ مايو ٢٠٢٠. .
https://.couua.com

(٩) أماني أبو رحمة، أفق يتباعد.. من الحداثة الى بعد ما بعد الحداثة : ١٦٣.

(١٠) أماني أبو رحمة، أفق يتباعد.. من الحداثة الى بعد ما بعد الحداثة : ١٨٧.

(١١) أماني أبو رحمة، أفق يتباعد.. من الحداثة الى بعد ما بعد الحداثة : ١٧٧. والمصدر الأساس Peter in: Funke, Bettina. Against Gravity : Bettina Funke talks with PeterSloterdijk, PeterSloterdijk, Art forum, Feb/Mar, 2005.

(١٢) أماني أبو رحمة، أفق يتباعد.. من الحداثة الى بعد ما بعد الحداثة :١٧٨.

(١٣) Electronic book Translation by Chris Thomas.Luca Di Blasi reads Peter Sloterdijk revew. 1999. نقلا عن أماني أبو رحمة، أفق يتباعد.. من الحداثة الى بعد ما بعد الحداثة : ١٨٣.

(١٤) زيجمونت باومان، الحداثة والهولوكوست، ترجمة : حجاج أبو حيدر ودينا رمضان، مدارات للأبحاث والنشر، القاهرة، ط١، ٢٠١٤، ٤١.

(١٥) نورمان ج. فينكلشتين، صناعة الهولوكوست، تأملات حول استغلال معاناة اليهود، ترجمة : سعود عطية، وزارة الإعلام الهيئة العامة للاستعلامات، ط١، ٢٠٠١، ٣٧.

(١٦) أماني أبو رحمة، نهايات ما بعد الحداثة، ارهاصات عهد جديد، دار ومكتبة عدنان، بغداد، ط١، ٢٠١٣، ٥٥

(١٧) إيرك غانس، سجلات الحب والاستياء، a١٩٩٧. نقلا عن أماني أبو رحمة، نهاية ما بعد الحداثة، مقالات في الأدائية وتطبيقات في السرد والسينما والفن، مؤسسة أروقة للدراسات والترجمة والنشر، القاهرة، ط١، ٢٠١٣، ٩١.

(١٨) أماني أبو رحمة، نهايات ما بعد الحداثة، ارهاصات عهد جديد : ٥٤.

(١٩) أماني أبو رحمة، نهايات ما بعد الحداثة، ارهاصات عهد جديد : ٥٠.

(١) أماني أبو رحمة، أفق يتباعد ..من الحداثة الى بعد ما بعد الحداثة : ٢١٩.

(٢٠) أماني أبو رحمة، أفق يتباعد ..من الحداثة الى بعد ما بعد الحداثة : ٢٢٠.

(٢١) راؤول ايشلمان، بعد ما بعد الحداثة : الأداء في الأدب، مقال منشور في مجلة الأنثروبويتكس، الحادي عشر، لا.٢، خريف ٢٠٠٥، شتاء ٢٠٠٦.

(٢٢) أماني أبو رحمة، نهايات ما بعد الحداثة، ارهاصات عهد جديد : ٧١.

(٢٣) إيرك غانس، أفكار ما بعد الألفية ، مقال منشور ضمن سجلات الحب والاستياء، رقم ٢٥٣، السبت ٢٣ ديسمبر، ٢٠٠١. Anthropoetice. Ucla. edu

(٢٤) ينظر : أماني أبو رحمة، أفق يتباعد ..من الحداثة الى بعد ما بعد الحداثة : ٢٢٢، ٢٢٣.